المحاضرة الحادية عشر: النظرية السلوكية (السلوكية اللغوية Linguistic behaviorism): ليونارد

بلوفيلد (1949/1887)

ما يميّز هذه النظرية هو ارتكازها على المنحى العلمي، وهو منحى يرتكز على الملاحظة والمشاهدة، إذ قامت بالتركيز على "السلوك القابل للملاحظة الخارجية فقط، فإذا طبقنا تلك الحجة في مجال اللغة نلاحظ الاهتمام بالمنطوقات الكلامية أو بمعنى آخر السلوك اللفظي الخارجي وإغفال البنية العقلية الكامنة وراء تلك المنطوقات الكلامية. حيث منحت الأولوية لما يمكن مشاهدته عياناً. وتقوم النظرية على أسس هي "1- التشكيك في كل المصطلحات الذهنية، مثل العقل والتصور والفكرة... والتركيز على الأحداث الممكن ملاحظتها وتسجيلها، وعلى علاقتها بالموقف المباشر الذي يتم إنتاجها فيه، ومن هنا أطلق بعضهم على اللغة مصطلح السلوك النطقي أو السلوك اللغوي. 2- اتّجاهها على تقليص دور الغرائز والدوافع والقدرات، وتأكيدها على الدور الذي يلعبه التعلم في اكتساب النماذج السلوكية. 3- اتّجاهها الآلي أو الحتمي الذي يرى أن كل شيء في العالم محكوم بقوانين الطبيعة. 4- أنه يمكن وصف السلوك عند السلوكيين على أنه نوع الاستجابات لمثيرات ما تقدمها البيئة أو المحيط.

البحث الدلالي في هذه النظرية هو إهمالها لما هو ذهني وتركيزها على المادي والملاحظ في عالم الأعيان، فاللغة فيها سلوك نطقي ولغوي، مع تركيزها على دور السلوك في العملية التعليمية، بالإضافة إلى جعلها السلطة للطبيعة في كل ما يحيط بالإنسان، بهذا يصبح السلوك اللغوي استجابة لمثير تمليه الطبيعة؛ ما يميز البحث السلوكي هو تركيزه على السلوك الملاحظ بكل أشكاله مع إغفال العقل وحالاته.

من هذا المنطلق نجد أن المعنى في النظرية السلوكية يتكوّن من ملامح الإثارة وما ينتج عنه من رد الفعل القابلة للملاحظة والموجودة في السلوك النطقي. هذا السلوك اللغوي عرّفه بلوم فيلد أنه "الموقف الذي ينطقها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع، فعن طريق نطق صيغة لغوية يحثّ المتكلم سامعه على الاستجابة لموقف، هذا الموقف وتلك الاستجابة هما المعنى اللغوي للصيغة.

مثير → استجابة

كغيرها من النظريات الدلالية تعرّضت النظرية السلوكية للنقد حول ما قدّمته من تأسيسها للمعنى، ورؤيتها اللغوية، ذلك أن "الأخذ بمبدأ دراسة الفعال الكلامية القابلة للملاحظة والمشاهدة، لم يقدّم الأجوبة الكافية عن تلك التساؤلات حول ضبط دلالة الصيغة اللغوية ضبطاً يخضع لمعايير علمية دقيقة تتسحب على كل الصيغ والتراكيب اللغوية. فهناك من الأفعال ما هو غير قابل للملاحظة والتحليل العلمي "فالحب والكراهية ليست طبيّعة للتعرف عليها على أساس فيزيقي بخلاف الجوع، كذلك يصعب - بنفس الطريق - تحديد معالم كلمات مثل: حسن، قبح..."